ليبيا... ساحة الإرهاب الأخطر عالمياً

■ حميدي العبدالله

حتى وقت قريب كان الاعتقاد السائد أنّ سورية هي أكثر الدول التي تشكل تهديداً للاستقرار في المنطقة والعالم نظراً إلى تجمّع أكبر عدد من الإرهابيين على أراضيها جاؤوا من 83 دولة، وفقاً لإحصائيات تداولتها وسائل الإعلام الغربية، إذ ناهز عدد هؤلاء الإرهابيين أكثر من 11 ألف إرهابي، ما عدا الذين قتلوا على أيدي الجيش العربي السوري والذين بلغ عددهم وفقاً للإحصاءات الغربية أيضاً أكثر من 10 آلاف إرهابي تلقوا في سورية تعبئة إيديولوجية وحصلوا على تدريب عسكري على جميع أنواع الأسلحة، إضافة إلى القدرة على التخطيط لأعمال عسكرية واسعة تتجاوز الهجمات الإرهابية المنفردة، كما حصلوا على المزيد من الأموال، وتوافر لهم غطاء سياسي بوصفهم «مجاهدين» إذ لا تزال بعض وسائل الإعلام الغربية تصفهم بالثوار أو المجاهدين، ولم تطلق عليهم البتة لفظة إرهابيين.

بسبب ذلك كله كانت التوقعات تشير إلى أن تجمع الإرهابيين بهذه الأعداد التي فاقت أعدادهم في أفغانستان، وحصولهم على كل هذه المزايا، يحوّلانهم إلى خطر كبير على دول المنطقة وحتى على العالم، سواء انتصروا في سورية أو انتصر عليهم الجيش والدولة السورية، فبعد أن يفرغوا من سورية سوف يتجهون إلى دول أخرى.

لكن ثمة الكثير من المعطيات التي تشير إلى أن ليبيا بدأت تتحوّل إلى الساحة الأخطر التي تهدّد العالم بالأعمال الإرهابية:

أوّلاً، لأن سورية، وتحديداً الجيش العربي السوري يتكفل الآن احتواء هذه الظاهرة والقضاء عليها عبر عملياته الواسعة والنجاحات التي حققها ضد الإرهابيين وسقوط أعداد كبيرة منهم.

ثانيا، لأن ليبيا ليست لديها قوات مسلحة مثل الجيش العربي السوري قادرة على احتواء الإرهابيين الموجودين على أراضيها، والمحتشدين الآن بقوة هناك. فليبيا اليوم تحتضن آلاف الإرهابيين على أراضيها، واستطاعت تنظيمات «القاعدة» تجنيد مئات بل ألوف الشبّان الليبيين في ظل غياب وجود الدولة، كما أن حدودها من سائر الجهات سائبة ويسهل على الإرهابيين الآتين من الخارج التجمع داخل البلد. إضافة إلى ذلك، ليبيا دولة نفطية، ويمكن الحصول على عائدات من بيع النفط كافية لتمويل الجماعات الإرهابية دونما حاجة إلى الحصول على الدعم من دول خارجية والارتهان لقرارات الدول الممولة وتوجّهاتها. كما أن الجماعات الإرهابية استولت على مستودعات الأسلحة التابعة للجيش الليبي بعدها أسقط الناتو نظام معمر القذافي، ومعروف أن ترسانة القذافي من الأسلحة التي يحتاج إليها الإرهابيون كفيلة بتسليح عشرات الألوف. ولليبيا حدود مشتركة مع دول ينشط فيها الإرهاب منذ فترة طويلة مثل الجزائر وبعض هذه الدول لا ينشط فيها الإرهاب فحسب، بل تفتقر إلى وجود جيوش قوية مثل مالي والنيجر، أو دول انحسر فيها وجود الدولة المركزية لمصلحة جماعات مسلّحة مثل السودان، أو دول لديها دولة وجيش قوي لكنّها تعيش اضطراباً سياسياً وأمنيّاً حاداً مثل مصر. وهذا الواقع الجيوسياسي يحول ليبيا إلى ساحة نموذجية لتجذّر الإرهاب، وتصاعد نشاطاته، وقابليته لتحقيق مكاسب استراتيجية وليس تكتيكية، كما كان يحدث في أماكن أخرى، فليبيا اليوم هي أخطر من الصومال للأسباب التي مرّ ذكرها.

هذا الوضع يشكّل معضلة حادة للدول التي تسببت بسقوط الدولة الليبية وأشاعت الفوضى فيها، وتحديداً الولايات المتحدة. وتكمن هذه المعضلة في معادلة مثلثة البعد:

البُعد الأول، لا وجود لجيش أو قوات مسلحة ليبية قادرة على احتواء ظاهرة الإرهاب وحصرها في حدود ليبيا والقضاء عليها لاحقا.

البُعد الثاني، لا يمكن القضاء على ظاهرة الإرهاب بضربات جوية على غرار ما جرى في مواجهة الجيش الليبي ونظام القذافي، فالضربات الجوية تقوّي الإرهاب ولا تقضي عليه.

البُعد الثالث، ليست هناك دولة، خصوصاً الولايات المتحدة والدول الأوروبية، على استعداد لإرسال قوات برية لمحاربة الإرهاب والقضاء عليه في ليبيا.

فلسطين في مسيرة الراحل الإمام الخميني

■ رامز مصطفى

فُوجئ العالم بانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية. تلك الثورة التي قادها الإمام الراحل الخميني عام 1979، والتي أحدثت توازناً بل وتحولاً دراماتيكياً في المشهد الإقليمي لمصلحة الشعوب المستضعفة والثائرة والمقاتلة في سبيل عدالة قضاياها العادلة والمحقة، وفي مقدّمها قضية فلسطين. فهي أحدثت توازناً، بسبب ما ترتب على اتفاقات كامب ديفيد من خلل استراتيجي تجلّى في إخراج مصر ذات الوزن الإقليمي الكبير من دائرة الصراع مع العدو الصهيوني التي قال فيها الإمام الراحل: «إن معاهدة كامب ديفيد ومثيلتها تهدف إلى منح الشرعية لاعتداءات «إسرائيل» وقد غيّرت الظروف لمصلحة» إسرائيل» (...). لذلك جاء انتصار الثورة الإسلامية مثل تعويض في اللحظة السياسية الأكثر حرجاً وخطورة، عن هذا الخلل الاستراتيجي الذي عملت على إحداثه كل من الولايات المتحدة الأميركية، والكيان الصهيوني. وهي أحدثت تحوّلاً، إذ للمرّة الأولى في تاريخ الصراع في المنطقة، وعلى المنطقة، تتبنى دولة فتيّة شعارات ثورية أكثر جذرية، بل والأكثر تحديداً (الموت لـ«إسرائيل» و«إسرائيل» غدة سرطانية يجب اجتثاثها وأميركا الشيطان الأكبر، وأميركا دولة الاستكبار العالمي، الخ).

اليوم، بعد مضي خمسة وعشرين عاماً على رحيل الإمام الخميني في الثالث من حزيران 1989، يدرك الشعب الفلسطيني أكثر من بقية الشعوب المناضلة والمجاهدة والمستضعفة في العالم أهمية انتصار الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الراحل على نظام الطاغي والمستبد البائد الشاه محمد رضا بهلوي، فما حدده الإمام الراحل صراحة لم يكن في حاجة إلى الاجتهاد أو طلب التفسير حين قال: « اليوم إيران وغداً فلسطين»، وهذا ليس من خلفية الترف أو التوظيف أو الاستغلال، بل من خلفية الإيمان العميق في الترابط الوجداني والإيماني، وحتى السياسي والفكري، بين الثورة الإسلامية وقائدها الإمام الراحل من ناحية والقضية الفلسطينية بما تعكسه من خصوصية الموقع في العمقين العربي والإسلامي. من هنا نعي إكثار الإمام الراحل في التركيز على ضرورة الوقوف إلى جانب قضية فلسطين، ودعم الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة بكامل الإمكانات والوسائل التي تُمكّن هذا الشعب المظلوم والمستضعف من تحقيق الانتصار على العدو الصهيوني، وتحرير أرض وطنه. وترجم الإمام الراحل الخميني أقواله بشكل عملي وملموس إذ أمر بإغلاق سفارة الكيان الصهيوني في زمن الشاه وتحويلها إلى سفارة فلسطين. وفتح أبواب الجمهورية الإسلامية أمام أبناء الشعب الإيراني الشقيق بهدف التطوع في صفوف فصائل الثورة الفلسطينية. وعلى مسافة زمنية قصيرة جداً من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وفي السابع من آب 1979 أطلق الإمام الراحل نداءه لجعل الجمعة الأخيرة من شهر رمضان من كل عام يوماً عالمياً للقدس، وهو أعطى بذلك قضية فلسطين من خلال القدس بُعدها العالمي لحضّ المسلمين والعرب على إنقاذ هذه المدينة ومقدساتها. قال: «إن مسألة القدس ليست مسألة شخصية، وليست خاصة ببلد ما، ولا هي مسألة خاصة بالمسلمين في العصر الحاضر، بل هي قضية جميع الموحدين والمؤمنين في العالم، السالفين منهم والمعاصرين واللاحقين». وأضاف الإمام الراحل: «على البلدان الإسلامية أن تدافع بكامل قواها عن الأهداف الفلسطينية «. بسبب هذه المواقف الداعمة لفلسطين القضية والشعب والمقدسات والمقاومة، تعرّض الإمام الراحل الخميني ومعه الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشعبها ومقدراتها إلى حرب ضروس من قبل قوى الاستكبار العالمي في الولايات المتحدة الأميركية، والغرب الأوروبي، ويا للأسف، على أيدي قوى ودول إقليمية ومحلية. إلاّ أن هذه التحديات وهذه الحرب لم تتمكن من ثني الجمهورية وقائد ثورتها الأمام الراحل الخميني عن التراجع عن مواقفها وتوجهاتها ووقوفها الحازم واللامحدود إلى جانب القضية الفلسطينية.

إن مرتكزات فكر الإمام الراحل في ما يتعلق بقضية هذه الأمة يتأكد من خلال فضح الكيان الصهيوني وطبيعته العنصرية واللا إنسانية: «إسرائيل غدة سرطانية، وهي غاصبة ويجب أن تغادر بأسرع وقت. والحل الوحيد أن يقضي الإخوة الفلسطينيون على مادة الفساد هذه بأسرع وقت»، وبالتالي دعم حركات المقاومة الوطنية والإسلامية الفلسطينية كي تنتصر، وبذل الجهود لمنع إمرار مشاريع التسوية الأميركية – الصهيونية، بالتآمر مع طيف واسع من حكام المنطقة عبر المفاوضات وفرضها على شعوب المنطقة، بخاصة على الشعب الفلسطيني. فطالب الإمام الراحل الشعوب الإسلامية بـ«أن تفكر في إنقاذ فلسطين، وأن تعلن للعالم عن غضبها واستنكارها الممارسات التساومية الاستسلامية للحكام العملاء والخونة الذين ضيّعوا آمال وجماهير مسلمي الأرض المحتلة «. وحدد موقفه الصريح في ما يتعلق بالاعتراف بالكيان الصهيوني، ماضياً إلى إصدار الفتوى الشرعية بقوله: « ألا يعلم قادة القوم أن المفاوضات السياسية مع السياسيين المتجبّرين ومجرمي التاريخ لن تنقذ القدس وفلسطين، وسوف تزيد من وتيرة الجرائم والمظالم كل يوم «. وأضاف الإمام الراحل الكبير: «إنني أعتبر مشروع الاعتراف بـ«إسرائيل» بمثابة الكارثة بالنسبة إلى المسلمين وبمثابة الانفجار بالنسبة إلى الحكومات، وإنني أعتبر الإعلان عن معارضة ذلك فريضة إسلامية كبيرة «.

عود على بدء. فوجئ العالم بانتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني عام 1979، كما فوجئ بل صُدم، تحديداً شعوب العالم وحركات التحرر والمقاومة على امتداد العالم، برحيل الإمام القائد الخميني في الثالث من حزيران 1989، لأن رحيل الإمام الخميني كان بالنسبة إلى هذه الشعوب وإلى قوى المقاومة والممانعة على امتداد العالم، تحديداً على أرض فلسطين، خسارة كبرى لقائد شكل علامة فارقة في العناوين كافة. ولطالما كانت قوى الاستكبار العالمي لا تخشى أو تخاف زعيماً أو رئيساً أو قائداً، مثلما خشيت وخافت على نفسها وسياساتها ممّا حمله الإمام الراحل من فكر ورؤى سياسية وفقهية تمكنت من توجيه هذه الشعوب وقوى التحرر والمقاومة فيها، لأجل التصدي والصمود في وجه الشيطان الأكبر الولايات المتحدة وغدتها السرطانية « إسرائيل «، وضرورة محو هذه الغدة من الوجود. بيد أن هذه الصدمة لم تستمر طويلاً، فالإمام الخميني الراحل لم يبن من إيران إمارته أو مملكته الخاصة، إنما نقل إيران إلى بلد المؤسسات التي تحكم وتدير وتخطط وتبني وتزدهر، البلد المقاوم والممانع الذي يعزز قدراته وإمكاناته ويُوظف موارده لعزّة هذا البلد ومنعته. لذلك نرى اليوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد عقدين ونصف عقد على رحيل الإمام الكبير الخميني، أكثر منعة وقوة وصلابة وتطوّراً وعمراناً، فضلاً عن الشعب والجيش اللذين يأبيان الذل والهوان. وهي اليوم تسجل في أعلى صفحات التاريخ أنها الدولة التي ما ركعت إلاّ لله، والطواغيت والمستكبرون والمتجبّرون أمامها في ذل مُهين. هذا ما كرسه الإمام الخميني الراحل من بنائه الحجر والبشر، ليُكمل طريقه في الازدهار الحضاري والرقي الإنساني، قائد الثورة الإسلامية الإيرانية الإمام علي الخامنئي.

الحزب السوري القومي الاجتماعي... ثبات البوصلة

■ بشار سليمان

لم يكن مفاجئاً إعلان الحزب السوري القومي الاجتماعي موقفه المؤيد لإجراء الانتخابات الرئاسية في سورية، وترشيحه ودعمه الرئيس بشار الأسد في مؤتمر صحافي عقده رئيس المكتب السياسي للحزب في الشام الدكتور نذير العظمة 2014/4/26 بحضور أعضاء المكتب السياسي.

استشعر الحزب السوري القومي الاجتماعي حجم الخطر المحدق بالأمة، والمتمثل راهناً بغرائز الإرهاب والتطرف الغريبة عن حياة وثقافة وهوية الإنسان والمجتمع السوريّيْن، وهي غرائز تهدف إلى ضرب الوحدة الروحية والاجتماعية وإسقاط الدور القومي لسورية لأنها رأس حربة في المحور المقاوم، من خلال ضرب الجيش السوري الذي يعدّ اليوم من أقوى الجيوش في المنطقة، على غرار ما تعرّض له الجيش العراقي عقب الغزو الأميركي للعراق.

كان الحزب السوري القومي الاجتماعي عبر تاريخه النضالي الطويل دوماً ولا يزال في قلب الحوادث التي تعصف بالأمة وتهدّد كيانها ووحدتها، وعلّمته تجاربه السابقة متى يكون موجوداً عندما يستدعيه الواجب القومي، ومتى يتريّث في مواقفه، فبوصلته مصلحة سورية التي هي فوق كلّ مصلحة. ما تعرّض له خلال سنوات نضاله المستمرة من مؤامرات تستهدف بنيته الفريدة، ودوره المتأصّل في الحياة العامة، جعل القوميين جاهزين ومتنبّهين دائماً إلى ما يُحاك لبلدهم، فهم أكثر من عانى من المؤامرات والدسائس التي تهدف إلى تقويض وحدة المجتمع.

لم يكن الحزب بذاته بعيداً عن دوامة الحوادث السورية منذ بدايتها، فاغتيال منفذه العام في إدلب الدكتور سمير قناطري كان إيذاناً ببدء صراع جديد للحزب ضدّ المجموعات الإرهابية المتطرفة المدعومة بالمال الأسود لتدمير سورية.

لذا، حدّد الحزب أولوياته ورؤيته، فهو مع سورية المتجدّدة، دولة مدنية حضارية علمانية حديثة، متحرّرة من الإرهاب والآفات الاجتماعية، وعلى هذا الأساس بنى موقفه من الاستحقاق الرئاسي في الشام، كونه مدعوّاً أكثر من أيّ وقت مضى إلى المشاركة في بناء سورية المتجددة، على قاعدة الأسس الحضارية والنهضوية التي ينادي بها الحزب، بالتعاون مع جميع القوى السياسية الاجتماعية.

من ناحية أخرى، لا يخفي الحزب مشاركته الجيش السوري والقيادة السورية محاربة الإرهاب القادم من خارج الحدود السورية، حيث كان نسور الزوبعة رفقاء سلاح وتضحية مع الجيش السوري في أكثر من مكان، فكانت صدد والزاره والحصن وحمص وصيدنايا ومعلولا والقصيْر وكسب والعديد من الأماكن الأخرى على امتداد الأرض السورية، مجنّدين طاقاتهم وإمكاناتهم في خدمة ما يؤمنون به. وكان لا بدّ للحزب من أن يؤكد حضوره السياسي القومي القويّ بالتوازي مع حضوره العسكري على الساحة السورية، خاصة أنّ الحزب يملك إرثا اجتماعياً وشعبياً هائلاً، وهذا يدعم القرار الحزبي بالمشاركة العسكرية مع الجيش السوري وشرفاء الأمة في الحرب ضدّ الإرهاب والتطرف.

احتفالات الحزب السوري القومي الاجتماعي في صدد وبعد ذلك مهرجانه الخطابي الحاشد في صيدنايا تكريماً لشهداء الواجب القومي وإعلان بداية الانتصار الكبير على يهود الداخل ومشغّليهم في الخارج، هي استكمال لحالة الصراع على الحياة والوجود التي يقودها القوميون على امتداد الوطن الكبير، فوجود القوميين في صلب المعركة ضدّ الارهاب يعادل وجودهم في صدارة الحياة السياسية والاجتماعية، وهذا أمر طبيعي وواجب قومي اقتضاه واقع الأمة الاستثنائي والمصلحة السورية العليا.

أثبت الحزب خلال فترة الحوادث التي تعصف بسورية أنه حزب مقاوم متمسك بخياراته وقناعاته، وعلى هذا الأساس وقف إلى جانب الدولة في مواجهة الأخطار والتحديات، خارجية كانت أو داخلية، وحتمت عليه رؤيته القومية أن يكون في خندق واحد مع الجيش السوري وسائر القوى الشريفة في مواجهة المؤامرة للعبور بسورية إلى فضاء الدولة المدنية العلمانية الديمقراطية التعددية.

عليه، كان لزاماً على الحزب السوري القومي الاجتماعي أن يكون في موقع متقدم من الاستحقاق الرئاسي في الشام، وجاء إعلان موقفه في هذا الصدد تكريساً للحالة القومية الصحية التي يسعى الحزب إلى رؤيتها تنتشر بين الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية التي تشكل بمجموعها النسيج الاجتماعي السوري، لتكون محصنة في مواجهة الغرائز الشاذة القادمة من الخارج، كما أنّ موقفه يعتبر دليلاً على تبنيه استراتيجية مدروسة تلحظ الظروف الاستثنائية التي تمرّ بها المنطقة عامة وسورية خصوصاً.

إن ترشيح الحزب للرئيس بشار الأسد والدعوة إلى تأييده، دليل على أنّ الأهداف القومية العليا هي غاية الحزب، وهذا الموقف يرقى إلى مرتبة المواقف المصيرية في الظروف الاستثنائية. علماً أنه ارتكز على التمسك بسورية دولة حديثة متطوّرة، وأثنى على سلسلة التشريعات والمراسيم والقوانين التي أقرّتها الدولة لتكتمل بها الأسس القانونية والتشريعية المتينة، مؤكداً أنّ المشاركة الكثيفة في انتخابات الثالث من حزيران شكلت صرخة سورية مدوّية ضدّ المؤامرات التي لا تزال تحاك ضدّ سورية التاريخ والحضارة.

أوروبا العجوز تهدّد... فيزمجر الدبّ وينهض التنين

■ نصّار إبراهيم

بسبب الغطرسة، أو الوقاحة، لا فرق، أثاروا عش الدبابير في أوكرانيا فجاءهم الرد سريعاً.

أميركا طلبت إلى أوروبا فرض عقوبات على روسيا وأوروبا امتثلت.

أوروبا تهدّد روسيا إذا لم «ترفع» يدها عن أوكرانيا، فطارت القرم، وشرق أوكرانيا خارج السيطرة.

أوروبا تهدد روسيا! لكنها في الوقت ذاتها تطلب إليها (في الواقع تتمنى عليها) الالتزام باستمرار تزويد أوروبا الغاز... يا سلاااام!

التبادل التجاري بين أوروبا وروسيا بحدود 300 مليار دولار سنوياً، والتبادل التجاري بين الولايات المتحدة وروسيا بحدود 40 مليار دولار، ومع ذلك أوروبا تهدّد روسيا!

أوروبا تهدّد (وتتمنى أو ترجو)، لكنّ روسيا وحلفاءها يردون بمؤتمر منتدى شنغهاي للتعاون (نصف سكان الكرة الأرضية + 35 في المئة من مساحة الأرض)، هذا من دون الحديث عن دول البريكس. في لحظة وقعت روسيا والصين عقداً لتبادل الغاز والطاقة بقيمة 400 مليار دولار، وبخط أنابيب طوله 1500 ميل، هذا من دون ميادين التجارة الأخرى ومن دون الدول الأخرى. الصين وروسيا فحسب، والغاز وحده، ومع ذلك تهدد أوروبا روسيا!

تناقش أوروبا والولايات المتحدة منذ بداية الأزمة إرسال دعم مالي عاجل إلى أوكرانيا، وحتى اليوم لم يصل «الشحن» بحسب غوار الطوشة. ردت روسيا في كوبا فشطبت في لحظة واحدة 30 مليار دولار من ديون كوبا عليها، وحوّلت الباقي 4 مليارات إلى استثمارات، وبعد أيام من انضمام القرم إلى روسيا ارتفع التقاعد في القرم بنسبة 50 في المئة.

تهدد أوروبا روسيا بعقوبات اقتصادية فيما هي تتلوّى تحت أثقال الأزمة المالية والبطالة، فترد روسية بفصل تجارتها عن عملة الدولار (معلومة: يصل حجم تجارة روسيا في الهيدروكربونات إلى نحو تريليون دولار سنوياً، بحسب الباحث أحمد عز العرب، ويضيف الباحث إلى ذلك ما أعلنه التليفزيون الروسي يوم 19 نيسان من أن الصين ستعيد فتح طريق الحرير كطريق تجاري جديد يربط ألمانيا وروسيا والصين).

أوروبا تطالب روسيا الالتزام بالعقوبات على إيران، في حين تفاوض إيران وتعترف بها كدولة نووية تطالب روسيا، لكنها تهددها بالعقوبات، فترد روسيا بأنها ليست معنية بالعقوبات الأوروبية– الأميركية ضد إيران (حجم التبادل بين روسيا وإيران 100 مليار دولار)، ومع ذلك تصرّ أوروبا على تهديد روسيا.

مندوب فرنسا ومن يقف معها يتقدّمون بمشروع قرار لإحالة سورية على محكمة الجنايات الدولية (يبتسم الجربا... لا أدري لماذا؟) فيرد المندوبان الروسي والصيني: بسيطة! فيتووو! فتهدّد مندوبة أميركا بمحاسبتهما... ومالو... « يلّلا يا فرنسا».

يعبثون في عقدة أعصاب روسيا ويهدّدون، فترد روسية في سائر الميادين الجيوستراتيجية بحزم. فهل سمعتم زمجرة الب الروسي وغضب التنين الصيني في شنغهاي. آسيا آتية بكامل جبروتها البشري والاقتصادي والجغرافي والحضاري الثقافي. العالم يتغيّر، فقط الحمقى لا يرون ذلك.

أوروبا العجوز تهدّد وتتوعّد ولكنها في الوقت نفسه تتمنى ألاّ يكون هناك ردّ... عجيب! فقط ألمانيا تحاول جاهدة عقلنة العجوز المتصابية. لكن إلاّ الحماقة أعيت من يداويها.

في ذكرى الخامس من حزيران: نكساتنا... وخيباتنا متواصلة ومستمرة

■ راسم عبيدات - القدس المحتلة

مرّ على نكستنا سبعة وأربعون عاماً، ولا أعرف لماذا سميت بالنكسة وليس بالهزيمة الساحقة، فالنكسة تطلق على من كان معافى وسليماً وانتكس. أما من هو غارق في النكسات والهزائم فكيف لنا أن نسميه منكوساً وليس مهزوماً بامتياز؟! بلى، هزمنا في حزيران بامتياز، والهزيمة لم يستكمل بها احتلال باقي فلسطين التاريخية فحسب، بل وأراضي العديد من الدول العربية التي ما زالت ترزح تحت الإحتلال المباشر(الجولان المحتل) وغير المباشر (سيناء ووادي عربة). وكيف لنا أن نسمي ذلك نكسة وليس بشيء أكبر من النكبة؟!

منذ هزيمتنا عام 1967 حتى اللحظة الراهنة لم نستطع ان نجسد حلمنا في تحرير أرضنا واستعادة حقوقنا الوطنية المشروعة، لم ننجز لا المرحلي منها عبر إقامة دولة فلسطينية على حدود الخامس من حزيران/ 1967، ولا الاستراتيجي عبر استعادة فلسطين التاريخية. أي في اختصار، فشلنا في نقل مشروع الدولة الفلسطينية من الإمكان التاريخي الى الإمكان الواقعي.

كانت لدينا فرصة في الانتفاضة الأولى، انتفاضة الحجر، في كانون الأول 1987 أن نحقق إقامة دولتنا المستقلة، لكن تسرّعنا وعدم قدرتنا على الاستثمار الصحيح، أضاعا علينا تلك الفرصة، لندخل بعد ذلك في غياب حاضنة عربية ودولية وفي ضعف العامل الذاتي داخل دهاليز المفاوضات التي قادتنا الى أوسلو، وسلطة من دون سلطة، ليست لها سيطرة على أرض ولا حدود ولا أجواء ولا معابر ولا مخارج. ومنذ توقيع أوسلو إلى اللحظة الراهنة نستمرّ في مفاوضات عبثية وعقيمة جربناها بكامل أشكالها مباشرة وغير مباشرة، علنية وسرية، عن قرب وعن بُعد، يرى فيها البعض المشروع والطريق الوحيد كنهج وخيار، لتحقيق جزء من حقوقنا الوطنية (دولة مستقلة على حدود الخامس من حزيران)، لكن هذا الخيار قادنا ويقودنا نحو الشرذمة والانقسام، والى فرض المحتل المزيد من الحقائق والوقائع على الأرض وسياسة الأمر الواقع، فالإحتلال يتكرس ويتمدد فوق كل أرضنا استيطاناً وتهويداً و«أسرلة»، ليبلغ الإستيطان مع تلك المفاوضات حد الـ«تسونامي» في القدس، وسياسة التطهير العرقي والسيطرة على المسجد الأقصى الذي أصبح مقسّماً زمانياً بفعل إجراءات الاحتلال وممارساته في حقه. وما حصل في القدس الثلاثاء الفائت من إغلاق للمسجد الأقصى في وجه المصلين المسلمين والمرابطين وطلاب العلم وموظفي الأوقاف، لأجل تسهيل دخول المتطرفين الصهاينة بقيادة أعضاء كنيست وحاخامات وفي مقدمهم ميخائيل بن آريه والحاخام المتطرف يهودا غليك، إذ اقتحموا صباح هذا اليوم المسجد الأقصى من جهة باب المغاربة، يرافقهم 250 من «زعرانهم» المستوطنين، وفي حماية عناصر الشرطة التي وفرت لهم الدخول، ومارسوا طقوسهم التلمودية وشذوذهم في ساحات الأقصى، والحاخام المتطرّف «يهودا غليك» شارك ثلاث مرات في اليوم نفسه في عمليات الاقتحام، وكان يدعو في كل مرة الى هدم مسجد القبة وإقامة ما يسمى بالهيكل المزعوم مكانه.

بلى، من حزيران 1967 إلى حزيران 2014، تتعاظم نكساتنا وخيباتنا، ويبدو أن جميع برامج الفصائل الفلسطينية الوطنية التحررية والديمقراطية الإجتماعية لم تثبت صحتها على أرض الواقع كما يحلو دائماً للفصائل القول بـ«سوبريتها» وصحتها.

عانينا طويلاً من «أوسلو» وما جلبه من تقسيمات للأرض والشعب، ولم يكن «أوسلو» مثلما قال مهندس السياسة «الإسرائيلية» وثعلبها شمعون بيرس النصر الثاني لدولة الاحتلال بعد النكبة، بل كان الانقسام المدمر الذي قاد الى تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، إذ بفعل، سموّه ما شئتم، الانقلاب أو الحسم العسكري الحمساوي في القطاع (حزيران 2007)، يوم فصلت الضفة عن القطاع ليس بفعل الجغرافيا فحسب، بل سياسياً وإدارياً، وأصبحت لدينا حكومتان، واحدة مقالة في القطاع وأخرى في رام الله وزاد هذا الإنقسام في ضعف العامل الذاتي الفلسطيني الضعيف أصلاً، لتأتي التطورات اللاحقة وتفرض علينا اتفاق ومصالحة الضرورة، فحماس تعمقت أزمتها بفعل سقوط نظام مرسي و«الإخوان» وإحكام الحصار على القطاع وإغلاق معظم الأنفاق من قبل النظام المصري الجديد، شريان حماس المالي والتجاري الرئيسي، لتمويل سلطتها وأجهزتها وأفرادها، كذلك رهاناتها الخاسرة على الحلف المعادي لسورية وايران وحزب الله، ذاك الحلف من جماعة «التتريك» ومشيخات النفط الخليجية دفع بها إلى الإنقلاب على حلفائها ومحورها لكي تصطف ضده، ولتكتشف أن هذا الاصطفاف والوعود لم تقدم إليها شيئاً، لا على صعيد الدعم المالي ولا العسكري، كذلك السلطة الفلسطينية، التي عادت إلى المفاوضات متعارضة مع قرارات مؤسسات المنظمة وأغلب مكونات الشعب الفلسطيني، وجدت أن تلك المفاوضات لم تقدم إليها شيئاً، بل هي غطاء لمواصلة «إسرائيل» لاستيطانها وإجراءاتها وممارساتها القمعية في حق الشعب الفلسطيني.

تلك التطورات والأزمات لدى حكومتي حماس في غزة والسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، دفعتهما الى عقد لقاءات المصالحة في 2014/4/23، وتمخضت عن تشكيل حكومة الوفاق الوطني في الأول من حزيران الجاري، هذه الحكومة الانتقالية التي لا تحمل برنامجاً سياسياً والمنوط بها رفع الحصار عن القطاع وإعادة إعماره وحل مشاكله وأزماته والتحضير لإجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية، تشكل اتفاق إطار لا أكثر، فهي المقدمات لمرحلة جديدة قد تؤدي الى طي صفحة الانقسام، وتساهم في تقوية وتصليب العامل الذاتي الفلسطيني. لكن ما هو قائم على الأرض وما هو مطلوب منها قد يطيح ما تحقق، وبالتالي يضاعف نكساتنا وخيباتنا، فالمطلوب أن يتم توافق فلسطيني على برنامج سياسي وعلى استراتيجية فلسطينية موحدة، وعلى شراكة حقيقية في القيادة والقرار السياسي لجميع ألوان الطيف السياسي والمجتمعي، كي لا نكون أمام خيبة أكبر وأزمة أعمق من شأنهما تبديد حقوقنا الوطنية وتفكك مشروعنا الوطني.

لماذا بشّار الأسد؟

■ أيمن الزغبي

كثيرة هي الشعوب التي تقرأ التاريخ، ولكنّ الشعوب التي تقرأ التاريخ وتعتبر بدروسه أقل بكثير، والأقل منها تلك الشعوب التي تقرأ التاريخ وتعي حوادثه وتستوعبها في الوعي الجمعي الذي يحدّد الإطار العام لمناعة أي شعب ضد الأخطار التي قد يتعرض لها. يقول المفكر الإسلامي د. محمد عمارة: إنّ قراءة التاريخ شيء والوعي بالتاريخ شيء آخر. فقراءة التاريخ لا تحتاج إلى أكثر من إجادة القراءة والقدرة على حفظ الحوادث واسترجاعها عند الحاجة إليها، بينما يحتاج الوعي بالتاريخ إلى عقل علمي قادر على دراسة الحدث التاريخي دراسة موضوعية من خلال عدم اجتزائه من زمنه التاريخي، ولا من موقعه الجغرافي ومحيطه الحضاري الذي يشمل العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية، وهذا ما يؤمّن لنا فهماً صحيحاً ودقيقاً لما دار من حوادث في زمن تاريخي ما، وبالتالي يمكننا من استيعاب دروسه وعبره والإفادة منها في حوادث مشابهة لها. مما تقدم نستطيع أن نفهم ونحلل موقف الشعب العربي في سورية ممّا يحصل فيها من ويلات، فالوعي الجمعي للشعب السوري يرتكز على مجموعة من النقاط جعلته عصيّاً على الانكسار ولا أقول الاختراق، فاختراق وعي جمعي لأيّ شعب في العالم أمر واقعي يحدث في كل زمان ومكان، خاصة في أيامنا هذه التي باتت فيها المعلومات أكثر غزارة من الأمطار. وهذا ما حدث في سورية وبعض الدول العربية والأجنبية إذ اخترق الوعي الجمعي لتلك الشعوب في جزء من مجموعاته ومكوّناته. لكنّ قوة هذا الوعي ومناعته المستمدّة من عدد من النقاط وقفت بوجه سقوطه وانكساره في سورية وفي مقدّمها:

أولاً: إن الشعب السوري يعي وبوضوح تام أن نهضته التي بدأها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ما كان لها أن تخبو لولا اجتياح الجيوش الفرنسية والبريطانية المنطقة، بناءً على اتفاقية «سايكس – بيكو» التي كان هدفها تمزيق المنطقة لطوائف وقبائل متناحرة ليسهل السيطرة عليها واستغلال ثرواتها. واليوم لن يسمح الشعب العربي المقاوم للغرب بأن يجهض مشروعه النهضوي.

ثانياً: إن الشعب السوري يدرك أن وقفة الأجداد وفي مقدّمهم صالح العلي وابراهيم هنانو وسلطان باشا الأطرش وأحمد مريود ومحمد الأشمر وحسن الخراط، عطلت على المستعمرين إتمام مخططهم الاستعماري، وحافظت على سورية موحدة من خلال القتال تحت شعار «الدين لله والوطن للجميع» الذي نادى به المغفور له سلطان باشا الأطرش لدى قيادته الثورة السورية الكبرى. واليوم وبعد مئة عام فإنّ الشعب السوري المقاوم لن يقاتل إلاّ أعداءه وتحت الشعار نفسه.

ثالثاً: إنّ الشعب السوري كلّه يفهم ويضع قيام دول الاستعمار الغربي وفي مقدّمها بريطانيا بزرع الكيان الصهيوني السرطاني في أرض فلسطين الحبيبة في إطار حرصه على حراسة مصالحه التي لا يمكن تأمينها إلاّ من خلال إبقاء المنطقة في حالة من التناحر والتجزئة وعدم الاستقرار الذي يمنعها من التطور والتنمية.

رابعاً: إنّ الشعب السوري كلّه كان يدرك أن الاستقلال الحقيقي لا يعني خروج الجيوش المحتلة من الأراضي العربية فحسب، بل إن الاستقلال الحقيقي لا يتم إلاّ باستقلالية القرار وعدم التبعية لأحد.

خامساً: إن الشعب السوري أدرك وبوعي لا حدود له أن سورية لم تعرف الأمن والاستقرار وهمّا شرطان أساسيان للتطور والعمران إلاّ في الفترة الممتدة بين عامي 1970 و2010 إبان عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد، وبعده الرئيس الدكتور بشار الأسد، وقبلهما ما عرفت سورية نهضة ولا تطوراً لا في المجال العمراني والزراعي ولا في المجال الصناعي ولا الصحي والتعليمي أو العسكري، بل إن الدولة السورية الحديثة التي تقف اليوم بفخر واعتزاز في وجه هذه الحرب الكونية بنيت في عهديهما ولا ينكر هذه الحقيقة إلاّ أعمى البصر والبصيرة أو الجاحد الناكر للجميل وكلاهما لا ينتمي إلى الشعب الذي أتحدث عنه...

سادساً: إنّ الشعب السوري عبر تاريخه يؤمن إيمان اليقين بأن كرامة المواطن لا تستمد إلاّ من كرامة الوطن، وبالتالي فإن الكرامة الوطنية تأتي في مقدم المتطلبات والثوابت الوطنية للشعب السوري. لذا كان المعيار الأهمّ في اختيار الزعيم أو القائد أو الرئيس مدى تمسكه بكرامة الوطن وعزّته بغض النظر عن أي شيءٍ آخر مهما تكن أهميته بالنسبة للشعب.

سابعاً: كون الشعب السوري وريثاً لحضارات ممتدة عبر التاريخ صبغت تراثه الفكري بالتسامح والانفتاح على الآخر فشكلت نسيجه الفسيفسائي الذي بات نموذجاً يحتذى للشعوب الراقية المحبة للسلام جعل منه شعباً متحاباً متسامحاً رافضاً كلّ أشكال التعصب والتطرّف. وما جعل معظم الشعب السوري ومنذ اللحظات الأولى يقف في وجه تلك الحرب الكونية التي لو شنّت على أي بلدٍ في العالم لانهار منذ العام الأول على أبعد تقدير. إنّ شعباً هذه مقوّمات شخصيته الجمعيّة لا يمكن إلاّ أن ينتصر في وجه المؤامرات والتحديات كافة. وما دام هذا الانتصار نتج من توحده خلف جيش عقائدي وقيادة أثبتت على مدى أربعين شهراً من الحرب براعةً قلّ نظيرها في إدارة الأزمة، لذا لا يمكن لهذا الشعب إلاّ أن يعيد اختيار تلك القيادة والمتمثلة بالرئيس الدكتور بشار الأسد ليبحر بها إلى المستقبل المنشود بعدما تجذر الفكر المقاوم وباتت سورية قلبه النابض.

للعالم كله نقول: نحن الشعب العربي السوري من يعلّم العالم كيف تكون الديمقراطية والحرية، ونحن من يخطّ التاريخ بأحرف تعبق بالإباء والعزة والكرامة. نحن أبناء دمشقَ الذين أقسمنا على أسوارها أنّ سقوطها ضرب من محال... فجبلنا بعطر ياسمينها دمانا وتحطمت على أبوابها جميع مؤامرات الأعداء والغادرين، وها نحن اليوم نرفع رايات النصر على أسوارها معلنين للعالم كله أنّ لا رئيس لسورية سوى الرئيس بشار الأسد الذي وقف منذ اللحظة الأولى مدافعاً عن وطنه بحكمة وشجاعة متحمّلاً كامل مسؤولياته... بلى، بشار الأسد ولا أحد... سواء أراد (بطل الكاو بوي) أو لم يرد... وسواء أعجب الصعلوك « شمعون « وحاخاماته في تركيا ودول الخليج أو لم يعجبهم. الشعب السوري قال كلمته مذ قال القائد بشار أمام مجلس الشعب في بداية الأزمة «إذا أردتموها حرباً فنحن لها».